University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد السادس – مارس 2016

التناصّ في شعر أبي الطيب المتنبي

أ. مصباح احمد الصادق.

(كلية الآداب والعلوم - بدر - جامعة الجبل الغربي - ليبيا)

University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد السادس – مارس 2016

التناصّ في شعر أبي الطيب المتنبي

خلاصة الدراسة

يهدف هذا البحث إلى دراسة شعر أبي الطيّب المتنبي (ت 354 هـ) من منظور نقدي حديث تمثله نظرية (التناصّ) التي اهتمّ روّادها ومن تلاهم من النّقُاد الغربيين وغيرهم بالعلاقة بين النصوص الأدبية من حيث أثر النصوص السابقة في تشكيل النصوص اللاحقة أو ما يُسّمى بـ (تداخل النصوص) ويـُعدّ شعر المتنبي صورة سابقة لعصره وحياته بما فيها من ثورات واضطرابات ، ونضج العلم والفلسفة . وتميّز المتنبي بخيال خصب ، وجزالة اللفظ ، ورصانة العبارة ، والبعد عن الصناعة والمحسّنات ، وتمثّل شعره في ديوان كبير توفّر على شرحه أبي البقاء العكبري في أربعة أجزاء وضمنها مجلدات باسم (التبيان في شرح الديوان) .

Abstract

Any research work cannot be carried out without sufficient scientific reliable material. However, with the limited resources available, this study has successfully reached findings summarized as follow: a) The clash between the former Arab critics and the Modernist concerning the conceptual definition of the term"intertextuality" has been observed. b) The use of some types of intertextuality by al-Mutanabi to draw his poetic images such as literary, religious and cultural intertextuality. c) al-Mutanabi's excessive reliance on religious as well as the noble prophetic sayings in creating his poetic images has been highlighted. d) The extreme impact of the Arabic cultural heritage on al-Mutanabi poetry of wisdom and proverbs has been clearly explored.

المقدمـــــــة

أتثبت عدد من النقاد و الباحثين أنّ مصطلح التناصّ بمفهومه الحديث لم يظهر إلاّ بعد النصف الثاني من القرن العشرين على يد الناقدة البلغارية الأصل الفرنسيـــة (جوليا كرستيفا] مستفيدة من أبحاث الناقد الروسي (باختين) حول أعمال (دستوفسكي) الذي درس أعماله الروائية مُنّظراً لمصطلحي تعددّ الأصوات ، والحوارية الذي استخدمــه لدلالــة على العلاقــات بين أيّ تعبير والتعبيرات الأخرى[1] .

وكذلك من خلال أنّ الكلمة في كل نصّ تقيم حواراً مع نصوص أخرى ، وهذه لُب الفكرة التي استعارتها [جوليا كرستيفا] من [باختين] [2] .

ولعلّ (جوليا كرستيفا) كانت تريد تبديل مصطلح التناصّ بمصطلح نقل دلالي أو تحوّل دلالي لإظهار وظيفته كتفاعل دلالي بين النصوص ينتج عنه تحوّل في معانيها إذ إن التناصّ في حقيقته هو تولّد نص عن نص آخر ثُـمّ دخوله في علاقة معه هي علاقة حوارية و سيمولوجية علامية [3] .

فالنصّ عند (جوديا كرستيفا) هو تبادل نصوص ، أو تناصّ في فضاء نصي تلتقي فيه مجموعـــــــة من الملفوظات المأخوذة من نصوص أخرى ، ويُبطل أحدهم مفعول الآخر فهي تمدّ النصّ إنتاجيــة ، وممارسة دالة [4] . غير أن مجموعة أخرى من النقاد والباحثين يخالفون الرأي السابق ومنهم (جريماس) إذْ يرى أنّ أوّل إذْ يرى أنّ أوّل القائلين بالتناصّ هو الروائي الروسي (باختين) الذي يقول :- ((مهما كان موضوع الكلام فإنّ هذا الكلام قد قيل من قبل بصورة أخرى)).[5]

أمّا (ريفاتير) فيرى أنّ التناصّ لا يقتصر على علاقة نص بنصوص أخرى سابقـــة أو معاصـرة لـــه ، وإنّما يتجاوزها إلى تناول علاقة النص بالنصوص اللاحقة أيضاً فهو يتجاوز الوقوف عند النصّ بالنصوص اللاحقة أيضاً فهو يتجاوز الوقوف عند النصّ لحظة إنتاجيه الأولى (كتابته) ليتانول لحظة إنتاجه الثانية (قراءته) ثم يعطي دوراً مهمّا أكبر للقارئ وللقراءة في تحقيق تناصية النصّ[6].

أمّا التناصّ في نقدنا العربي المعاصر فحين دخل هذا المصطلح إلى النقد العربي بداية العقد الثامن من القرن العشرين وبعد الانتشار الواسع والسريع لهذا المصطلح في الدراسات النقدية العربية والغربية فقد أخد هذا المصطلح دلالات عدّة ، منها ، (التناصّ تفاعل النصوص ، تداخل النصوص، جامع النصّ ، التناصية ، الترابط النصي ، التعالق) ، فتعدّد دلالات هذا المصطلح ومفاهيمه منحه اعتدالاً واتساعاً أكثر من مفاهيم بعض الذين أدخلوه في إطار السرقات ، وكأنّهم منعوا توارد الخواطر، والتأثّر والتأثير.

---

(1) ينظر المبدأ الحواري (تودروف ، ميخائيل باختين) ، ترجمة مخري صالح ، طـ 2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1996 م : 121 .

(2) ينظر التناصّ ذاكرة الأدب ، (نيفين سامبول) ، ترجمة نجيب عزاوي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2007 م :10 .

(3) ينظر النصّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق ، 2000 م : 85 .

(4) ينظر النص الغائب (تجليات التناصّ في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 م : 28 .

(5) المبدأ الحواري : 124 .
(6) ينظر النص الآخر في عالم جبرا إبراهيم جبرا ، حسن محمد ولات جامعة دمشق ، 1999 م :29

وهكذا اختلف النقد العربي الحديث في هذا المصطلح كما اختلف فيه النقد القديم أيضاً ، فتبنّينا هذا المصطلح لا يمنعنا من الرجوع به إلى التراث ، ورجوعنا به إلى التراث لا يعني أيضاً التخلّي عمّا جاء به النقد الحـداثي أو الحداثوي كلّياً ، لأنّ للتراثيين طـرقهم وأساليبهم في دراسة التناصّ [1] ، وظهر مصطلح التناصّ في النقد العربي في الثمانينات من القرن العشرين على يد (سيزا قاسم) في مقالتها (المفارقة في النص العربي) التي نتحدث فيه عن التضمين كمقابل للمتعاليات النصية عند (جينيت) و (محمد مفتاح) في كتابه (تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناصّ) ، و (سامية محرز) في مقالتها (المفارقة عند جوس) وصبري حافظ في مقالته (التناقض واشارات العمل الأدبي) [2] .

ويرى سعيد يقطين أنّ النقّاد العرب استعملوا التفاعل النصّي مرادفاً لما شاع تحت مفهوم التناصّ أو المتعاليات النصية كما استعملها (جينيت) [3]

فالتناصّ دخل بترجماته المتعددة إلى النقد العربي الحديث وانتشر انتشاراً واسعاً حتى إنه لا يكاد يخلو منه أيّ كتاب نقدي حديث ، فالعلاقة بين النصوص قديمة منذ أن عُرف الأدب ولكن معرفتنا بهذا المصطلح هي التي تبدو جديدة وإنّما كانت له مسمّيات أخرى ، مثل : السرقات ، والتضمين والاقتباس، و المعارضات ، وغيرها ، فاستطاع البحث العلمي في سعيه المستمرّ ، وتكشفه الدائم أنْ يظهر من خلال ذلك مصطلحات جديدة [4] .

مفهوم التناصّ :

تعدّدت مفاهيم التناصّ الأمر الذي جعل من الصعوبة أنْ نضع تعريفاً واحداً لها ، لذلك تعدّدت التعاريف وتنوّعت إذْ اختلفت في ألفاظها ولم تختلف في مضمونها ومعناها ، ولم يتفق المترجمون العرب المعارضون بعدُ على تعريف واحد لمصطلح التناصّ ، فبعضهم يعرّفه بالتناصّ وآخرون بالتناصية، وفريق آخر بالنصوصية وقسم بالتداخل بين النصوص ، لكنّ مصطلح (التناصّ) هو الذي شـــاع و انتشر، بعد أنْ استفاض الحديث مؤخّراً عن المناهج النقدية، و الألسنية، والبنيوية ، والسيميائية[5].

(1) ينظر نظرية التناصّ بين التراث والحداثة ، عبد العزيز سانا كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 2008 م : 7 .
(2) ينظر شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 م : 114 -115 .
(3) انفتاح النصّ الروائي ، سعيد يقطين ، المـــركز الثقافي – الدار البيضاء - المغرب ، 1999 م : 41 .
(4) مصطلح التعالق النصي بين التأريخ و الواقع ، عبد السلام أبوبكر شفشوف ، طرابلس ، 2001 م : 258 .

وكان أوّل تعريف للتناصّ هو لجواليا كرستيفا الذي قالت عنه " إنّ علاقة النصّ باللغة التي تتموضع فيها هي علاقة إعادة تنزيع (هدم / بناء) فالتناصّ هو ترحال للنصوص وتداخل نصّي ، ففي نصّ معيّن تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى ، وبمعنى آخر إنّ كلّ نصّ هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكلّ نصّ هو اقتصاص وتحويل لنصوص أخرى" [1] .

أمّا (ليتش) فعّرفه بقوله : " إنّ النصّ ليس ذاتاً مستقلةً ، أو مادّة موحدة ولكنّه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ، إنّ شجرة نسب النصّ شبكة غير تامّـــة مـــن المقتطفات المستعارة شعورياً أو لا شعورياً "[2] .

ومفهوم هذا التعريف أنّ (التناصّ) يعني توالد النصّ ، من نصوص أخرى وتداخل النصّ مع نصوص أخرى ، وانّ النصّ هو خلاصة لما يحصى من النصوص ، من هنا تعالق النصّ مع نصوص أخرى - إذاً – فلا حدود للنصّ وإنّما يأخذ النصّ من نصوص أخرى ، ويعطيها في آنٍ واحد [3] .

أمّا (جينيت) فذكر التناص بأنّه " مصطلح التعالي النصّي الذي يعني كلّ ما يجعل نصاً يتعلّق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني ، أو هو حضور نصّي في نصّ آخر كالاستشهاد و السرقة وغيرهما " [4] .

وقال : (بارت) : " إنّ كل نصّ جديد نسيج جديد لاقتباسات ماضية " [4] .

أمّا العرب المحدثين فذكر الناقد السعودي (عبد الله الغذامي) أنّه " نص يتسرب إلى داخل نصّ آخر يجسد المدلولات سواء وعي الكاتب ذلك أم لم يعِ ، فالنصّ يصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن منسجمة مع ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقات متشابكة " [5] .

وقال (محمد مفتاح) "هو تعالق أي الدخول في علاقة نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"[6].

ويرى (سعيد يقطين) انّ (التعلق النصّي) هو وصف العلاقة بين نصّين منطلقاً من الإيحاءات التي يحملها فعل تعلّق ، فالنصّ اللاحق ينتقي ويختار النصّ السابق الذي يراه يستأهل أنّ يكون موضوعاً لمواصفات خاصة مميزة ، وفي حال التعلّق النصّي نجد النصّ اللاحق يوظّف الأنماط الأخرى التي تبرز لنا من خلال مواطن التعلّق وأنواعه ، وطرائقه [7] .

---

(1) ينظر النص الغائب : 39
(2) علم النصّ (جوليا كرسيفيا) ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقـــال – الدار البيضاء المغـــرب ، ط 2 ، 1997 م 21 – 26 .
(3) ينظر النصّ الغائب : 28 .
(4) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(5) شعرية الخطاب السردي : 114 .
(6) التناص ذاكرة الأدب : 13 .
(7) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله الغذامي ، النادي الادبي الثقافي – جدة 1995 م : 320 – 323 .
(8) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناصّ) ، محمد مفتاح ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي – المغرب ، 1992 م : 120 – 121 .
(9) ينظـر الروايـة والتـراث السـوري ، سعيد يقطين ، ط 1 ، دار رؤيـة للنشـر والتوزيع ، القاهرة 2006 م : 5 .

أنواع التناصّ :

للتناصّ أنواع ذكرها الباحثون ، هي :

أ- التناصّ الأدبي (الشعري) .

ب- التناصّ الديني

ج- التناصّ الثقافي

د- التناصّ التاريخي .

وسنتحدث عن كلّ نوع ورد في ديوان المتنبي .

أ- التناصّ الأدبي (الشعري) :

ديوان المتنبي حافل بالتناصّات مع الشعراء الآخرين من ذلك قوله يمدح كافوراً الأخشيدي بقصيدة طويلة منها قوله

لـــيـــت الحـــوادثَ بـــاعتنـــي الـــذي أخذتْ

مـــني بحلمـــي الـــذي أعطـــت وتجـــريبي [1]

وهنا نرى الشاعر أنّه يتمنى عود الشباب إليه الذي أخذته منه حوادث الزمان ، ويتمنى المتنبي أن يشتري هذا الذي أخذه الزمان ، والمعنى أنّ زيادة العقل هو نقصان الشباب وهذا ما ذكره الشاعر علي بن جبلة المعروف بـ (العكّوك) الذي يتناصّ معه المتنبي بقوله :

وارى الليـــالي مـــا طـــوت من قوتي

زادتـــه فـــي عقـــلي وفـــي إفهـــامي [2]

وقول المتنبي :

ظِلـــتَ بهـــا تنطـــوي عـــلى كـــبدٍ

نضيجـــةٍ فـــوق خلبـــها يَـــدُهـــا [3]

يقول : ظللتَ بتلك الدار تنثني على كبدك واضعاً يدك فوق خليها ، والمحزون يفعل ذلك كثيرا لما يجد في كبده من حرارة الوجد يخاف على كبده أن تنشق كما قال الصمة بن عبد الله القشيري :

وأذكـــرُ أيـــامَ الحِمـــى ثمّ أنثنـــي

عـــلى كبـــدي مـــن خشيـــةٍ أنّ تصـــدّعـــا [4]

وكذلك من شعر المتنبي ما وصف به قبر ممدوحيه:

و مـــا ريـــحُ الـــرياضِ لها ولكـــنْ

كساهـــــــا دفنهـــــم فـــــي التُـــــربِ طيبـــــاً [5]

---

(1) التبيان في شرح الديوان ، شرح أبي البقاء العكبـري ، ضبطـه وصححـه مـصطفى السقـا ، وإبراهيم الإبياري ، دار الفكر – بيروت – 1997 م : 170/1 .
(2) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي بن محمد البجاوي : 345 .
(3) التبيان في شرح الديوان : 1 / 295 .
(4) الوساطة : 341 .
(5) التبيان في شرح الديوان : 1 / 144 .

يعني الشاعر أن هذه الرائحة الطيبة التي تجدها في الرياض هي في الحقيقة نابعة منه ، وانّ مبعثها الحقيقي هو آباء الممدوح فقط دُفِنوا في هذه الرياض فهو ما أكسبها هذه الرائحة فما يفوح إنّما هو ريحهـم، وهذا المعنى نجده متناقصاً مع قول أبي تمامٍ :

أرادو لـــــــيخُفوا قبـــــرهُ عـــــن عـــــدوّه

فطيـــبُ تـــرابٍ القبـــرِ دلّ عـــلى القـــبرِ [1]

أي : عندما أراد أهل هذا الممدوح أنْ يخفوا قبره عن عدوّه مخافة العبث به أبى القبر إلاّ أن يظهر نفسه لانّ من فيه كان مبعثاً لرائحة طيبة ، هذه الرائحة دلّت العدو على القبر وهذا كلّه من التناصّ بالمعنى الذي يسمّيه النقّاد بـ (التناصّ غير المباشر) .

ومن صور التناصّ المباشر قول المتنبي :

كُـــــنْ أيّـــــها السجـــــنُ كيـــــف شئت فقد

وطّنْـــــتُ للمـــــوتِ نـــــفسَ مـــــعترفٍ

لَـــوكـــــانَ سكنـــــايّ فِيـــك منقصـــــــةً

لـــم يـــكُنْ الـــدُرُّ ســـاكن الصـــــــدفِ [2]

يخاطب الشاعر السجن معزّياً نفسه في هذا المكان غير اللائق به مع المجرمين وأصحاب الجنايات ، وأنّه لا يعدّه منقصة له ، فلو كان نزوله فيما يحلق به نقصاً لما كان الدرّ مع كبر قدره ساكن الصرف الذي لا قيمة له ، وقد شبّه نفسه في السجن بالدر في الصدف ، وهذا اخذه من الشاعر ابن هفّان الذي يقول :

وزادهـــا عجبـــاً أنْ رُحْـــتُ فـــي شمـــــل

ومـــــا درتْ دُرَ أنّ الـــــدرَّ فـــــي الصَـــــدَفِ [3]

وهنا نجد تغير يسير فالمتنبي (لم يكن الدرُّ ساكنَ الصدفِ) وابن هفّان (وما دارتْ دُرّ أن الدُرَّ في الصدفِ) . وهذا اقتضاه الوزن .

وقول المتنبي في مدح الحسين ابن إسحاق التنوضي :

ولا تفتـــــقُ الأيـــــــــام مـــــــا أنتَ راتِـقُ

ولا تـــــــــرتقُ الأيـــــــامُ مـــــــا انتَ فـــــــاتقُ (4)

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 1 / 295 .
(2) التبيان في شرح الديوان : 2 / 281 .
(3) الوساطة : 230 .
(4) التيان في شرح الديوان : 2 / 122 .

فإن هذا المعنى أخذه المتنبي من شعراء كثيرين تمثّل في شعرهم ، من ذلك مثــول أشجع بن عمرو السُلمي :

فمـــــا يـــــــرفعُ النـــــاسُ من حَطّـــــــــــــهُ

ولا يضـــــعُ النـــــاسُ مَـــــنّ يـــــــــرفـــــــعُ (1)

وقول أبي تمام :

فـــــــــإن أفســـــــدت شيـــــئاً فليس بصالح

وإن أصـــــلحت شيـــــئاً فليـــــس بفـــــــــــاسدِ (2)

وفي هذه النصوص كلّها لا يستطيع الناس مخالفة الممدوح في شيء فما يفعله ليس لهم عليه تعقيب، ومنها كسره لا يجبرُ ، وجبره لا يهيض ، فهــو الذي يسكر ويجبر .

من خــلال ما ذكرناه نرى أنّ المتنبي اختلف عن الشعراء الباقين في أن التناصّ عنــده هــو تناصّ بالمعنى ، أي : غير مباشر ، وهذا هو التعالق النصّي بعينه فهو هنا يقيم حواراً بين شعره والمضامين و الرمــوز ، والشخــوص الشعرية التي وظّفها لخدمة نصّه مختزلاً زمنها وأحداثها ، وطابعها الواقعي والفني ، والايقاعي في عوالم شعرية موازية ، تكون بمثابة ذاكرة شعرية رافدة ومغذية للدلالة .

ب - التناصّ الديني :

كان التناصّ الديني ولا يزال مصدراً مركزياً لمعظم شعراء العربية يستمدون منه كثيراً من الموضوعات والشخوص ، والرموز ، والمواقف ، والرؤى ، التي تشكل محوراً مهماً لأعمالهم الأدبية التي يعبّرون من خلالها عن أفكارهم وقضاياهم ، وهمومهم ، وطموحاتهم ، وتجاربهم الخاصّة ، ويتنّوع التناص الديني من قرآن كريم ، وحديث نبوي .

أوّلاً – القرآن الكريم :

انقسم التناص لدى المتنبي من القرآن الكريم على نوعين مباشر ، وغير مباشر ، أي : باللفظ ، والمعنى من ذلك قوله :

ومـــــا ذاك بخـــــــلاً بالنفـــــــوس على القنا

ولـــكنّ صـــــدمَ الشـــــرِّ بالشـــــرِّ أحـــــزمُ [3]

وأخذه بالمعنى (غير مباشر) من قوله تعالى : " وجزاءُ سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلحَ فأجرُهُ على الله إنه لا يحبّ الظالمين " [4]

---

(1) الوساطة : 305 .
(2) المصدر السابق : الموضع نفسه .
(3) التبيان في شرح الديوان : 3 / 350 .
(4) سورة الشورى ، الآية (40) .

وكذلك قوله :

مخضّبـــــةً والقـــــــوم صَـــــرْعى كأنّها

وإنْ لـــــم يكـــــونوا ســـــاجدينَ مســـــاجدُ [1]

وهنا يتحدث عن حرب المسلمين مع الروم حيث يقول لقد تركتُ بلادهم ملطخة بدمائهم ، وأهلها مقتولون مصروعون ، ومثله قوله تعالى حينما سخّر الله سبحانه وتعالى على قومٍ عادٍ الريح " سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القَوم فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاوية " [2]

وكـذلك قول المتنبي :

أهـــذا جزاء الصـــــــــدقِ إنْ كنتَ صادقاً

أهـــذا جـــزاءُ الكـــذب إن كنـــتَ كـــاذباً [3]

و المتنبي يقول : إنْ كنت صادقاً في مديحك فليس ما تعاملني به جزاء لصدقي ، وإنْ كنت كاذباً في مديحك فليس ما تعاملني به جزاء له ، لأنّني كذبتُ تجّملاً لك في القول ، وكان حقّه التجمّل في المعاملة فلا الصدقُ نال جزاؤه عندك ولا هذا الذنب نال جزاءه ، وإن كان الأصل في الجزاء ما قاله تعالى :

" منْ كفرَ فعليه كفره ومنْ عملَ صالحاً فلأنفسهم يمهدون " [4]

وكذلك قول المتنبي :

إن كـــــــان قـــد مـــــلكَ القلوب فإنّـــه

مـــــلكَ الزمـــانَ بأرضـــه وسمـــــائهِ [5]

يعني إن كان هذا الممدوح قد ملكت محبته القلوب فإنّ هذا ليس مستغرباً ، فقد ملكَ الزمان وما فيه فجاء الشاعر في الشطر الثاني بهذه الصورة التي عبّر بها القرآن عن قدرة الله وسطوته في مثل قوله

تعالى " لله ملكُ السموات والأرض وما فيهّن وهو على كلّ شيء قدير " [6] ، ولو نظرنا إلى مفردات كل من النصّين وجدناها تدور حول (الملك ، الأرض ، السماء ، الناس) .

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 275/1 .
(2) سورة الحاقة : الآية (7) .
(3) التبيان في شرح الديوان : 1 / 71 .
(4) سورة الروم : الآية (44) .
(5) التبيان في شرح الديوان : 1 / 3 .
(6) سورة المائدة : من الآية (120) .

وكذلك قول المتنبي :

يستـــــأسرُ البطـــــــل الكمـــــيُّ بنظـــــرةٍ
ويُجـــــــولُ بيـــــن فـــــؤاده
وعـــــــــــزائهِ [1]

يبين لنا الشاعر كيف أنّ الهوى والعشق يستولي على القلب فلا تكون إرادة بعد ذلك ، ويلجأ الشاعر في عجز البيت إلى أنّ يتناصّ مع قوله تعالى :

"إنّ الله يحول بين المرءِ وقلبه " [2] .

ثانياً : الحديث النبوي الشريف :

تناصّ المتنبي مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً في شعره ، من ذلك قوله في مدح سيف الدولة :

لنـــــــــــا ولأهـــــله أبـــــداً قلـــــوبُ
تـــــلاقي فـــــي جســـــومٍ مـــا تـــــلاقي [3]

يذكر لنا المتنبي أن أهل هذا الربع قلوبُ تتلاقى في ، يعني نحن نذكرهم ، وهم يذكروننا فكأننا نتلاقى بالقلوب ، وهذا تناصٌ مع قوله صلى الله عليه وسلم :

" الأرواح جندٌ مجنَّدة فما تعارفَ منها ائتلف وما تناكر منها اختلف " [4]

وقول المتنبي :

أغـــــــاية الـــــدينِ أن تحفـــــوا شـــواربكم
يـــــا أمةً ضحكـــــت مـــــن جهلـــــها الأمـــــمُ [5]

يقول المتنبي لأهل مصـر لا شيء عندكم من الدين إلاّ إحفـاء الشـوارب حتّى ضحكت منكم الأمم ، وفي الحديث النبوي الشريف " إنّه أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى " [6]

(1) التبيان في شرح الديوان : 1/ 73 .
(2) سورة الأنفال : من الآية (24) .
(3) التبيان في شرح الديوان : 2 / 294 .
(4) رواه البخاري رقم (3158) ، ورواه مسلم في صحيحه برقم 2638 ، ينظر تفسير ابن كثير ، جمال الدين أبو الفداء ، دار الأندلس بيروت ، بدون تاريخ : 3 : 76 .
(5) التبيان في شرح الديوان : 4 / 178 .
(6) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر – بيروت : 14 / 187 .

وقول المتنبي :

كـــــــم قتيـــــــلٍ كمـــــا قُتلـــــتُ شهـــــيدُ
لـــــــــــبياض الطِـــــــلى وورد الخـــــــــــدودِ [1]

وهنا جعل المتنبي قتيل الحبّ شهيداً لما روي في الحديث "إنّ منْ عشقَ وعفَّ وكتم ماتَ شهيداً " [2]

وقول المتنبي :

يـــــــــــترشّـــــــــــــفْنَ من فمي رَشَفاتٍ
هُـــــــنَّ فيـــــــه أحلـــــــى مـــــــــن التـــوحيدِ [3]

وهنا يذكر الشاعر أنّ رشفات محبوباته أحلى من كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الاّ الله) ، والحقيقة أنّ (التوحيد) نوع من التمر ، وهو الصحيح ، وفيه تناصّ مع الحديث : " ثلاث منْ كنّ فيه وجدّ حلاوة الإيمان " [4] .

وقول المتنبي :

تـــــــعجّـــــــل فـــــي وجـــــوبِ الحُـــــدودِ
وحـــــدّي قُـــــبيلَ وجـــــبِ السجـــــــودِ [5]

ويشير المتنبي هنا إلى أنه كان صبياً ولم يبلغ الحلم ، أي لم يبلغ سن الاحتلام ، بمعنى أن عقله لم يكتمل، الصلاة لم تجب عليه بعد ، وهنا يتناصّ الشاعر مع حديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم : " رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة : الصبي حتّى يحتلم ، أو يستكمل خمس عشرة سنة ، وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتّى يُفيق " [6]

وهذه النصوص تفيد بأنّ التكليف إنّما يأتي بعد سن الطفولة وبلوغ الاحتلام ، ومن طرف آخر يضع نفسه موضع التعليم والتربية وليس في موضع العقاب وتطبيق الحدود .

(1) التبيان في شرح الديوان : 1 / 315 .
(2) المصدر نفسه : 1 / 315 .
(3) التبيان في شرح الديوان : 315/1 .
(4) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، حديث رقم (15) .
(5) التبيان في شرح الديوان : 346/1 .
(6) صحيح البخاري : حديث رقم : 298 .

ج – التناصّ الثقافي :

ويتمثّل التناصّ الثقافي في شعر الحكمة والأمثال التي برع الشاعر بها براعةً لا مثيل لها ، فكثير من ابياته تسري مسرى المثل ، فتغنّى بها الناس وأنشدتها الأجيال ، واستشهد بها القائلون للتدليل على صحّة أقوالهم ، ومن ذلك قول المتنبي :

تـــــــــملّكـــــــها الآتـــــــــــي تمـــــــــلُكَ سالبٍ

وفـــــــــارقـــــــــها المـــــــاضي فراقَ سليبٍ [1]

وهذا تناصَ مع الموعظة المعروفة : " إنّ ما في أيدكم أسلابَ الهالكين وسيتركها الباقون كما تكرها الأوّلون " [2] .

كلّ من النصيب تركها يجعل من الذي انقضت مدته وانتهى أجله ، قد مضى وهلك ، وانتقل كل ما كان له إلى غيـــره ، وقد أتى ليحلّ محلّـــه ، فكأنّ الذي أتى قد سلب ذلك الذي مضى ، فتحوّلت الصورة إلى سالب ومسلوب ، وهذا البيت جاء في عزاء سيف الدولة في موت عبده .

وقول المتنبي :

إذا تـــــــــــرحّلْتَ عن قـــــــــــومٍ وقد قدروا

أنْ لا تُفـــــــــارقُهُم فالـــــــــراحلونَ هُـــــــــــمُ [3]

وهذا البيت يتناصّ فيه عن المتنبي مع قول الحكيم :

" من لم يردكَ لنفسه فهو النائي عنك وإنْ تباعدتَ أنتَ عنه " [4]

وهنا يجمع البيت والحكمة على انّ إذا لم تحصل محاولة الإرجاع دلّ هذا على البعد الداخلي فالراحل هو المقيم وليس الذاهب ، لانّ الرحيل متعلّق بالقلب ، فلو كان القلب متعلّقاً بهذا الذاهب لكان قد دفع صاحبه إلى محاولة إرضائه وإكرامه للحيلولة دون رحيله .

وكذلك قول المتنبي :

لـــــــــعلّ عتبـــــــــكَ محمـــــــودُ عـــواقُبهُ

فـــــــربّما صحّتِ الأجســـــــامُ بالعَلَـــــــلِ [5]

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 1 / 50 .
(2) المصدر السابق الموضع نفسه .
(3) التبيان في شرح الديوان : 3 / 367 .
(4) المصدر السابق : 3 /372 .

(5) المصدر نفسه : 3 / 81 .

وهذا يتناصّ مع قول الحكيم : قد يَفسدُ العضو لصلاح الأعضاء كالكيّ والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرهما " [1]

والحكمة من هذا النصّ أنّ الاجسام تصحّ بفقد بعض منها لأجل أنْ تبقى الأجزاء الأخرى .

وقول المتنبي :

يهـــــــون عليـــــــــــنا أن تُصـــــــــابَ جســومنا

وتســـــــلمُ أعـــــــراضٌ لـــــــنا وعقـــولُ [2]

والشاعر يتناصّ مع قول الحيكم : " عللُ الإفهام أشدّ من عللِ الأجسام " [3] .

ويبين الشاعر أنّ من الهيّن أن تصاب الأجسام في الحروب ، وأن تتعرّض للجراح والقتل على أنْ تسلم أعراضنا وعقولنا ، ولعلّ ما يجمع بين هذين النصّين هو أنّ الأجسام تأتي في مرحلة تالية وتسبقها الأعراض والعقول .

وقول الشاعر المتنبي :

وأغيْـــــــــدُ يهـــــــــــوى نفســـــــهُ كلُّ عاقلٍ

عـــــــفيفٍ ويهـــــــوى جسَمـــــهُ كـــــلُّ فـــــاسقِ [4]

وهنا يتناصُّ الشاعر مع قول الحكيم :

" اللبيبُ يهوى الأرواح والفاسد يهوى السفاح " [5] .

وفي هذا البيت إشارة إلى أنّ المتنبي كريم النفس لا يميل إلى ما فيه حرجُ ، فالعاقلُ اللبيب يميل إلى محبّة النفس ، والفاسق الجاهل يميل إلى الجسم .

---

(1) التبيان في شرح الديوان : 3 / 86 .
(2) المصدر السابق : 109/3 .
(3) المصدر نفسه : 110/3 .
(4) المصدر نفسه : 2 / 317 .
(5) التبيان في شرح الديوان : 2 / 317 .

وقول المتنبي :

وأظـــــــــــلمُ أهـــــــــــلَ الظلمِ مـــــنْ باتَ حاسداً

لمـــــــــنْ بـــــــــــاتّ في نعمائهِ يتقلّبُ [1]

و التناصّ هنا واضــح مع قــول الحكيم : " أقبحُ الظلم حسدُ عبدِك الذي تنعمُ عليه لك " [2]

والكلام كثير في هذا الموضوع ، وقد سطّر المتنبي هذا كلّه في فنّ جميل يعشقه الناس ويتيهونَ به حباً ويتغنّون بما ينطوي عليه من مشاعر إنسانية نابضة نبض الحياة بما فيها من طيور وأطياف ملونة، ومياه صافية رقراقه ، وهو مع ذلك كلّه مستودع أمين ، ومرآة صادقة تعكس ما يعتلج في نفوس الناس، وما تضجّ به حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية وما تكتنفهم من آمال وآلام وطموحات.

(1) المصدر السابق : 185/1 .
(2) المصدر نفسه : الموضع نفسه .

- مصادر البحث –

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .
1- انفتاح النصّ الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي الدار البيضاء ، المغرب 1999 م .
2- التبيان في شرح الديوان ، أبو البقاء العكبري ، ضبطه وصحّحه مصطفى السقّا ، وإبراهيم الإبياري ، دار الفكر - بيروت ، 1997 م .
3- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناصّ) ، محمد مفتاح ، ط 3 ، المركز الثقافي العربي - المغرب 1992 .
4- تفسير ابن كثير ، جمل الدين أبو الفداء ، دار الأندلس بيروت ، بدون تأريخ .
5- التناصّ ذاكرة الأدب ، (نيفين سامبول) ، ترجمة نجيب عزاوي ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق 2007 م .
6- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله الغذامي ، النادي الأدبي الثقافي ، جدّة – 1995 م .
7- الراوية والتراث السردي ، سعيد يقطين ، ط 1 ، دار رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 م .
8- شعرية الخطاب السردي ، محمد عزام ، منشورات اتّحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 م .
9- صحيح البخاري ، البخاري ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان بدون تأريخ .
10- علم النصّ (جوليا كرستيفيا) . ترجمة فريد الزاهي ، دار توبقال ، الدار البيضاء – المغرب ، ط 2 ، 1997 م .
11- المبدأ الحواري (تودروف ، ميخائيل باختين) ، ترجمة فخري صالح ، ط 2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1996 م .
12- مصطلح التعالق النصّي بين التأريخ والواقع ، عبد السلام أبوبكر شفشوف ، طرابلس ، 2001 م .
13- النصّ الآخر في عالم جبرا إبراهيم جبرا ، حسن محمد دلات ، جامعة دمشق ، 1999 م .
14- النصّ الغائب (تجليات التناصّ في الشعر العربي ، محمد عزام ، منشورات أتّحاد الكتّاب العربي ، دمشق 2001 م .
15- النصّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذربل ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق 200 م .
16- نظرية التناصّ بين التراث والحداثة ، عبد العزيز سانا ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 2008 م .
17- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعليّ بن محمد البجاوي ، القاهرة – مصر ، بدون تأريخ .